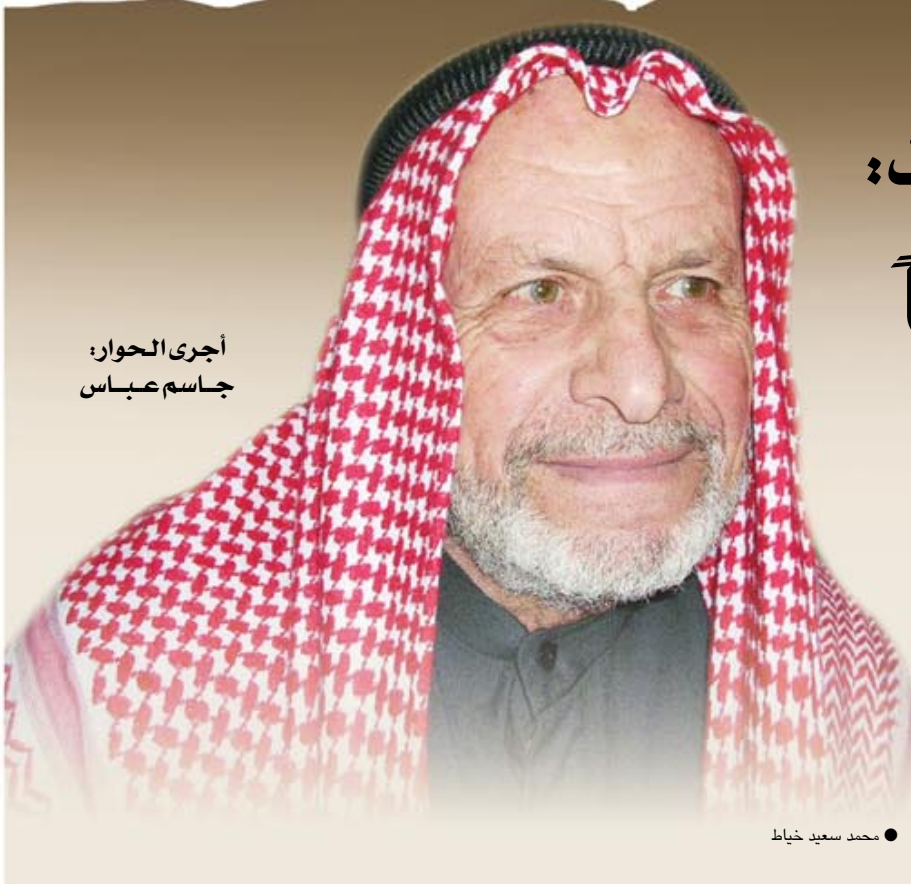


صفحات من الذاكرة محمد سعيد خياط: دخلت الكويت صيدياً فعملت إمام مسجد

أجرى الحوار:
جاسم عباس



● محمد سعيد خياط

في سلسلة حلقات من قديم الكويت نلقب صفحات الذكريات مع الرعيل الأول من رجالات الكويت الذين تخضروا في مرحلتهم ما قبل النفط وما بعده، ومادام ان الحنين للأيام الخوالي، إلى الكويت القديمة، كويت الخير والبركة والحياة الاجتماعية المتألقة، هو القاسم المشترك الذي يجمعهم، فمن الانصاف أن يشمل معهم عدداً من الوافدين من مختلف الجنسيات والذين قدموا إلى الكويت قبل ٤٠ أو ٥٠ سنة فجاهدوا وعملوا، كل في مجاله ومازالوا مساهمين في ورش البناء والتنمية، ولن يستمر هذا التواصل والعتاء لولا محبتهم لهذا البلد الخير ومحبة الكويت وأهلها لهم.

■ كنت أقضي الليل مع «السعدوة»
ونادراً ما أشتري السمك من السوق

أوراقها، وكل ما تأكله هذه الحشرة هو مفيد للإنسان. والذكر الضعيف كان يسمى «عصفور»، والأنثى «مكنة»، وكنت اسمع من المصليين وفي الأسواق «إذا طاح الجراد قل الدواء»، وكنت أقول للبنانيين الجراد مجموعة من الاديوية من هذه الأعشاب الطبية الموجودة في شرق أفريقيا والجزيرة العربية، وأخر مرة جاء فيها الجراد اعتقد عام ١٩٦٢ أو ١٩٦٣ ثم بدأت وزارة الصحة في الكويت تكافحه.

وأوضح الشيخ أبو حسن انه يتكاثر في فصل الربيع، وأسراب تزحف وأخرى تملأ الفضاء، والكويتي لا يهاب منه لقله المساحات الزراعية التي كانت في الماضي.

وتذكر جمع الجراد وتعبيته في خياش، وكانت المرأة الكويتية تتشغل بطبخه وتجفيفه، وكنت اسمع ان اصحاب الحصيد يخرجون إلى الصحراء وكذلك اصحاب السيارات لصيده ونقله، وأتذكر ايضاً ان سعر الخيشة كان روية ونصف الروبية، وأنا كنت أشتري الأوقية بحوالي ٤ انات، وخلال فترة وجود الجراد كنت انا من الاوائل، ومن عشاقه، خلاف بقية اللبنانيين، رغم وجود العقارب احياناً في خيش الجراد، لان صيده يكون في الليل وبين العرفج.

وقال: حتى بعد انتهاء موسمها شاهد خروج «البي» (صغار الجراد) نتيجة لوضع انثى الجراد (مكنة) بيضها، وكنا نشاهد «البيخاخ» (فضيلة الجراد صغيرة الحجم) كان الاولاد يلاحقونها لاصطيادها، والبيخاخة كانت خطيرة على المزروعات تتحركها بلا أوراق، عيداناً خالية.

السعدوة

وقال أبو حسن: كنت أقضي الليل في صيد السمك، احدث في البحر بواسطة عصا طويلة ويرأسها خيط طويل هذا النوع يسمى «السعدوة»، كان منتشراً على ساحل البحر وبيد الحداقة، والليم، طعم السمك كان عجين الخبز، أقضي ساعات وبيدي «السعدوة» في نقعة الشمالان، والاحظ الطفاحية أو كربة إذا تحركت عرفت السعدوة فيه سمكة فاقوم بسحب الخيط، فكان الشعوم أو الحاسوم والبطان والمجوي من نصيبي طوال الأشهر من مارس حتى أكتوبر، فكتت أكل وأوزع على إخواني، ونادراً ما أشتري من السوق، وأتذكر صاحب العظام الصلبة، والطعم اللذيذ «شانك»، ونسميه «أبو سر»، وهو الشعم، وكان جون الكويت غنياً بالبطان، خصوصاً في فصلي الربيع والخريف، صاحب الرأس الكبير

■ كنا نبحث عن

«بختنا» في المحار

بساحة الصفاة

والزعانف الصفراء، وكنا نعرف سمك الحاسوم من رأسه المثلث، والبحر كان بحراً له اصحابه في حياتنا مريح الاولاد او صيد الاسماك، او السياحة، والمسابقات فيه والتنافس بين الاولاد بواسطة السفن الصغيرة المصنوعة بأيديهم، أتذكر الهوري الصغير والتناك والعدال، وحتى غسل الملابس في البحر كانت المرأة تضع صوات على رأسها لغسلها بواسطة الجص والمضاربة، وحتى الانعام كانت تحمم في فصل الصيف لتبريدها من حرارة الشمس.

سقوط من أعلى

وتحدث أبو حسن عن سقوطه من الطابق الرابع الى اسفل العمارة التي كان يسكنها في شارع الخليج من عام ١٩٥٩ حتى ١٩٨٧ والتي هدمت فيما بعد.

وقال الشيخ خياط: صعدت الى اعلى العمارة قاصداً خزان الماء فوجدته فارغاً ونظرت الى اسفلها لمناداة حارس العمارة، وفي ثوان هويت الى الاسفل، وأنا في المستشفى تعجب الأطباء واعتقدوا اني اريد الانتحار، وأذكر ان كبار اهالي النصف من ضمن الجالسين في الديوان قد شاهدوني وأنا اسقط.

شبابنا أكبادنا

وأخيراً وجه الى الشباب نصائحه لما يشاهده من تصرفات في الشوارع والأسواق والمقاهي قائلاً: اتقوا الله في انفسكم، احفظ الله يحفظك، اعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة، ابتعدوا عن الاعمال المايح والمخريات، احفظوا ثراث الآباء والأجداد الذين تعبوا وقدموا الكثير لهذه الارض من اجل لقمة العيش رغم الوسائل البسيطة السهلة.

وقال: اباؤكم واجدادكم منهم من رجح من البحر ومنهم لم يرجح، والله انعم عليكم بالخيرات من باطن الارض احفظوها، «ما دمت بنعمة فدارها فإن المعاصي تزيل النعم»، «وبالشكر تدوم النعم».

■ المسجد تقلص دوره والمصلون
لا يشركونني في مشاكلهم

كنت اريد الحديث الشريف عن الرسول الكريم قال: «احلت لكم ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال، جراد حار مكن لا مثيل له في الطعم، وكان الناس يقبلون اقبالا شديداً على شرائه او صيده، وللجراد باعة يجلسون في ساحة الصفاة او في الاحياء ومفتري الطرق، والسنة التي يكثر فيها الجراد سنة خير وبركة، وجيراننا كانوا «يجففونه ويخزنونه ليبقى معهم طول العام».

وقال: كان اللبنانيون يقولون الجراد حشرة ضارة، فكان جوابي لهم سميت جراداً لأنها تجرد الارض من النباتات والاشجار من

٤٨ سنة قضيتها إماماً لمسجد النصف فقط

■ أنا اللبناني الوحيد في الكويت الذي يأكل الجراد في الكويت
■ سقطت من الطابق الرابع فاعتقدوا أنني انتحرت

وقال خياط: مهما وصفت الناس أيام زمان لا تبلغ حقيقتهم، يعرفون الحلال والحرام، فكان الفهم العميق الشامل للتعامل فيما بينهم، واليوم نحن بحاجة الى اخ يكون صادقا معك، فإذا اقرضت احداً في هذه الأيام عليك بالتقريب والتوسل والرجاء حتى يوفي بوعده ويرجع جزءاً مما اخذه منك.

لبناني والجراد

وقال: أنا اللبناني الوحيد في الكويت الذي اكل الجراد ودائماً



● صورة عن إعادة تزوجه للعمل كصيدي

البخت ما يجيبه

تحدث الشيخ أبو حسن عن البخت (الحظ)، وكنا نقول: يا رب البخت يجينا من هذا الذي كان يجلب الى ساحة الصفاة وفي بعض الأسواق، كنا نقوم بشرائه بمن رخيص بعد ان ينتهي موسم الغوص، والقاء الأصداف في البحر، يقوم بعض الناس بجمعها في مكان يسمى «هير»، نقوم نحن اصحاب البخت بفلكه بواسطة المفلكة التي تفتح المحار (عبارة عن سكين خاص) ولقد جريت حظي مرات ومرات، وكنت اسمع من الناس ان البخت ما يجيبه، اي لم تحصل على «الؤلؤ» او سحبت، وعرفت أسماء المحار الكثيرة ومنها: صديقي - زوان - زني - عيسرين - خالوف - زرق. وقال: كانت ساحة الصفاة ملتقى التجار والمستهلكين، كانت ملاذاً للقوافل المقبلة من الخارج لبيع ما لديهم من السلع، ومن ثم يقومون بالشراء، ومن اهم المواد في ساحة الصفاة الدهن العداني، ومنتجات الابان اهمها: البقط وهو لبن يرشح ماؤه ويجف، والجرني قبل ان يجف، وكبير عراقى، مازال طعمه في فمي، يعتبر من الابان والأن يسمى «شنة»، وضعضوا الكيمر في علب لا طعم ولا فائدة.

وقال: بعدما تحولت الوقية الى كيلو غرام راحت البركة فكان بائع السمك يبيع الكيلو بكيلو ونصف او ٢ كيلو غرام، والوقية كانت تساوي ٢,٢٦٨ كيلو غرام، وكل خمسة ارطال تساوي وقية، والرطل يساوي ٤٥٣ غراماً، وانتهى العمل بالوقية والرطل في عام ١٩٦٤.

في مستهل لقائنا مع قارئ القرآن وإمام مسجد والخطيب الشيخ محمد سعيد محمد علي خياط قال:

ولدت سنة ١٩٣١ في مدينة طرابلس التي انشئت بعد ٧٠٠ ق. م، كانت عاصمة اتحاد فينيقي، وازدهرت تحت حكم السلوقيين والرومان، اخذها العرب ٦٣٨، اغتصبها الصليبيون ١١٠٩ م، واستردها سلطان مصر ١٢٨٩، انا من ثاني المدن اللبنانية وهي مرفأ على البحر المتوسط وفيها يعود قلعة تاريخها إلى القرن ١٤، تسمى طرابلس الشام، فيها مصفاة للبترون ومن صادراتها الزيت، الحرير والموالح. تكتيها الزلزال ١١٧٠، ففي ١٢٩١ تأسست البلد، وانتقلت إلى حكم العثمانيين، فيها المدرسة الخاتونية ١٣٧٣، الجامع الاكبر، وخان الصابون القرن ١٧.

وقال: درست عند الشيخ صلاح الدين كبارة، وانتهيت الابتدائي والمتوسط في اربع سنوات، وصلت إلى اول بكالوريا، ثم طلب مني والدي ان اساعده لضيق حالته المادية فعملت في الصيدلية براتب يومي ٥ ليرات، تعلمت تركيب الادوية في الازبعينات، ثم دخلت كلية الشريعة بسبب صوتي الجميل وحصلت على الشهادة، في عام ١٩٥٥ جاء طلب من الكويت لحاجتها إلى الصيادلة، ونجحت في الاختبار الأول في المستشفى الأميري، ولكن شاعت الاقدار ان اسكن في حولي وبالقرب من مسجد القطان وطلب مني الإسم ان اصلي نيابة عنه لسفره إلى الحج وهنا ارسلت لي دائرة الاوقاف ان استمر معها فطلب مني ان اقبل الشيخ عبدالعزيز قاسم حمادة، فاخترني بهذا السؤال: ما حكم الجبيرة عند ابي حنيفة؟ قلت له: لا يشترط إعادة المسح عند إزالتها.

فعينت بعد ذلك إماماً في مسجد النصف بالقرب من ديوانيتهم على الساحل في الحي الشرقي من المدينة، واصبح لي ٤٨ سنة في هذا المسجد، وأتذكر الشيخ عبدالعزيز العصفور الذي لم يستطع ابدال سيارته بين المسجد والبيت لضيق الحارة.

وقال: سكنت في عمارة الاوقاف رقم ١، التي هدمت بعد حادث تفجير موكب سمو الامير الراحل الشيخ جابر الاحمد الصباح.

الزواج بالوكالة

وقال خياط: ارسلت وكالة لوالدي طلبت منه ان يختار لي زوجة ويخطبها وأنا في الكويت.

■ بعدما تحولت

الأوقية إلى كيلو غرام

راحت البركة

فقام بالمهمة مقابل مهر ٢٠٠٠ ليرة لبنانية، واستقبلتها في مطار النزهة على دراجتي الهوائية التي وضعتها في المطار وركبنا سيارة الأجرة، وأنا لا اعرفها، والهدية كانت ليرة ذهب، تساوي ٥ ليرات لبنانية أيام زمان، والان تساوي ١٥٠ ألف ليرة.

دور المسجد

وتحدث عن دور المسجد في المجتمع الكويتي قديماً بقوله: كان للعبادة والاعتكاف والتعليم والتوجيه، وعقد القران، ودار الزين تقلص دوره وظل المسجد للصلاة فقط، فكان قبل ذلك يصنع المسلم المتكاه البناء، في خلقه وسلوكه وعمله وعبادته، فالمسجد مركز اشعاع وتوجيه وتربية، وازداد: الجيران وساكنو حي «النصف»، كانت تسودهم روح الايمان، فاخبر العزاء والفرح والاحزان تنقلها من المسجد، وكان المسجد يقضي حاجة المسلمين، والان رغم انني إمام للمسجد وخطيب، فإنني اشعر بانهم لا يشاركونني في مشاكلهم، ولا يرجعون لي، ولا يباخون اي رأي، لان الاسر الكويتية فيها الكثير والمرشد وصاحب الكلمة، وإذا منى إمام المسجد في السوق الكل كان يجيبه ويسلم عليه ويرحب به، كل شيء تغير وتحول.

ظاهرة الأمان

وتحدث عن ظاهرة الامان التي كانت في الكويت وتدل على الأمن والأمان وثقة الناس ببعضهم، فكان الصراف يجلس على الارض واضعا عملائه على قفلة قماش، او داخل صندوق خشبي صغير غطاؤه زجاجي لكتف ما فيه من عملات، وصراف اخر في ساحة الصرافين وبعضهم في الصفاة يصفون الروبيات والريالات الفضية، واصحاب البضائع يتبادلون فيما بينهم مع الصراف العملات من دون ان تحدث اي سرقة او جريمة، وقال: وحتى الصايغ كان يتفق على اجرة صياغة الحلبي بالثقة، فيقوم العميل بشراء العدد المطلوب ويسلمها للصايغ ويحسبها بعد ايام عدة، واذا سمعت الأذان تجد اصحاب المحلات يؤدون واجبه نحو ربهم تاركين المحلات مفتوحة، وبعضهم كان يضع عصاة او قفلة قماش ويرجع بعد صلاة العصر، الامانة كانت شعاراً للجمع، فالكل كان يعقل ومهذباً.